

تفسير ابن كثير

وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ
الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ^ج أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

ولهذا قال [تعالى] (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت

قال إني تبت الآن) وهذا كما قال تعالى : (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده]

وكفرنا بما كنا به مشركين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا [] الآيتين ، [غافر :

84 ، 85] وكما حكم تعالى بعدم توبة أهل الأرض إذا عاينوا الشمس طالعة من مغربها

كما قال [تعالى] (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل

أو كسبت في إيمانها خيرا) الآية [الأنعام : 158] . وقوله : (ولا الذين يموتون وهم

كفار) [الآية] يعني : أن الكافر إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته ،

ولا يقبل منه فدية ولو بماء الأرض [ذهبا] . قال ابن عباس ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس

: (ولا الذين يموتون وهم كفار) قالوا : نزلت في أهل الشرك . وقال الإمام أحمد :

حدثنا سليمان بن داود ، حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان ، قال : حدثني أبي ، عن

مكحول : أن عمر بن نعيم حدثه عن أسامة بن سلمان : أن أبا ذر حدثهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله يقبل توبة عبده - أو يغفر لعبده - ما لم يقع الحجاب " . قيل : وما وقوع الحجاب ؟ قال : " أن تخرج النفس وهي مشركة " ; ولهذا قال [تعالى] (أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما) أي : موجعا شديدا مقيما .